وصفها المقدسي وصفاً خفيفاً غير وافٍ بالمرام. ومما قال في لبنان (ص ١٨٨) انهُ كثير الاشجار والثمار المباحة ثم ذكر عبّادهُ. ويلوح من قولهِ فيهِ انَّ جنوب هذا الجبل لم يكن مأهولاً على عهدهِ

فيرى القرّاء من هذه التفاصيل سبب اعجاب المستشرقين بتأليف المقدسيّ فيا ليتَ كان وجد لهُ اخلافاً مثلهُ ذوي عقل ثاقب يفقهون الابحاث الجغرافيَّة فكان هذا العلم اصاب ترقياً عظيماً الّا انَّ اغلب الكتبة الذين جاؤوا بعدهُ كانوا دونهُ اللهمَّ الّا الشريف الادريسي

ومما استفادهُ القارئ ايضاً من هذا البحث كما نظنّ انهُ يرى ما طرأ على بلاد الشام من التقلّبات واختلاف الاحوال في اطوار التاريخ فمنها ما يزيد وينمو ومنها ما ينقص ويتقهقر على حسب كوارث الدهر. وهذا يلوح من درس كل الكتبة الجغرافيين من العرب فانهم وان لم يبلغوا شأو المقدسي الّا انهم تركوا لنا معلومات ثمينة تؤدّي بنا الى معرفة بلادنا في قرون شتى مع ما جرى فيها من الماجريات في نظامها وتجارتها وبقيَّة امورها مما يستفيد منهُ المؤرخ لاستطلاع احوال البلاد وادراك الحوادث الجارية فيها جيلاً بعد آخر

سيرة الحبر الطيب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

لقنس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

ولنرجع الى سيرته لنلّا اعيد الماضي فاقول: ان صلاته ونسكه وسهره ورشده للغير وطول اناته وتواضع اللبّ مع هذيذه كان دائماً يزيد ولا ينقص ومن حيث قمع الجسم بلغ الى هذا الحدّ من الضعف حتى انهُ اراد ان ينهض بين يديه الاثنتين مقدار ثلاثة ارطال فما كان يقدر

ووقتئذٍ كان البطريرك يعقوب عواد وكان محبًّا للرهبنة ولعبدالله بالاكثر (١.

(١) لهذه الشهادة اهمية تاريخية لانها تخالف ما اعتاد المؤرخون تكرارهُ (اطلب سلسلة البطاركة ص ٤٦ و١٨٨ ومختصر تاريخ لبنان المخطوط لاطونيوس الينطوري وغيرها)

فحدث ان واحد من الابهات والظاهر انَّ غيرتهُ على عبدالله حملتهُ على ذلك لئلا تقدمهُ الرهبنة من زود ضعفه فتكلم مع البعض واظهر الغيرة فاستصوبها الكثيرون وكتبوا عرضحال للسيد البطريرك يلزم عبدالله ان لا يصوم يومين . وكذلك صار ومن يريد كيف ظهرت اخيرًا النوايا فعليه بقراءة التواريخ . فاطاع عبدالله امر البطريرك وابتدأ بتقشف صارم جدًا بغير نوع بحيث لو يصوم نكان اخير فندم الذين قدموا العرضحال

امَّا اعتباره عند الغُرب فكان عظيماً لانهم وجدوهُ هكذا رجل صالح محب الحق مبغض الكذب وكانوا يكنونه بالمصري لان جوابه كان سريع (١ وكان مصدَّقاً عند الجميع وهابًا منهم وما لي اقول مهاب عند البشر بل عند الشياطين ايضاً كما يبان من هذا الحادث الذي اصفه :

اتفق مرة وهو بدير قزحيا أن جاؤوا بمجنون دخلهُ روح سوء الى الدير المذكور (٢ والمجنون كان نصرانيًا من بلاد الدروز وكانوا يقيدونه من نحو خمسة عشر رجلًا لانهُ كان ذا قوَّة وجهاد عظيم فوضعهُ الرهبان في الجزير في مغارة المجانين فدخل يومًا ما الاخ سليمان شتغيري (٣ الى المغارة ليرى المجنون وكنت انا معهُ واذ شاهد المجنون الاخ سليمان وشاهدني بدأ يتمرمر ويتحرَّك باسنانه نحونا ولاسيما نحو الاخ سليمان الذي كان بعد حدثًا في العمر ويقول لهُ : « اه منك يا حنك الزحو اخرج برًا هذه الفيضة حتى اعلمك ». وكان قصده بالفيضة الرهبنة . اجابه الاخ المذكور انا بنعمة سيدي يسوع المسيح لا اخاف منك يا ملعون لانهُ هو يقوِّيني عليك . اجابه المجنون المتشيطن وهو ممزّق بالغيظ وتتقرقط الاسنان : « ادعُ للذي عمال يتمشَّى على السطح فان راح عنكم » افرجكم . وكان وقتها عبدالله يتمشى على السطح فكأنَّ اللعين ما كان يجسر على الدنو منهم هيبةً من عبدالله الذي كان بينهم

اما اموره السريَّة المعروفة عند اعيان الرهبنة فقد انعرفت من قبل المواهب التي

---

١) يوصف المصري بسرعة الجواب ومنهُ المثل عند العامة : « المصري جوابه في فمه »

٢) ان هذا الدير مشهور بشفاء المجانين المتشيطنين وبنير اشياء كما يأتي بيان ذلك في تواريخ الرهبنة (حاشية للمؤلف)

٣) لبس الاسكيم في ١٥ اب ١٧٠١ من يد القس عبد الله قراعلي في دير مار اليشع وتوفاه الله في ٢٧ نيسان ١٧٠٧ (نقلًا من سجلات الرهبنة)

كانت لهُ . يقول القديس افرام : «ان الانسان الذي اتقن الصوم والصلوة والهذيذ الروحي فانهُ يُعطى من الله موهبة معرفة المزمعات » . والحال ان هذا المغبوط كان قد حصل على هذه الثلثة : اولًا الصلوة كان متى انتصب فيها وحده حالًا كان يشخص ما قصدهُ من غير تعب . ثانيًا الصوم كان سهلًا لديه جدًا . ثالثًا السهر كان اكثر لياليه ساهرًا وذاك الرقاد القليل الذي كان يرقدهُ وهو قاعد من غير ان يستند الى شيء واستقام يرقد وهو جالس مدة اربعة عشرة سنة الى ان ارتسم مطرانًا . فان اردت ايها القارئ الحبيب ان تصدق ان ابانا حصل على هذه الثلاث فضائل هانذا اريد ان اظهر لك الاشياء التي أطلعنا هو عليها :

اولًا ليلة الواحدة وهو منتصب في صلاته في الكنيسة في آخر الصلوة رأى ذاته حزينًا فاذ تأمل ذلك زاد حزنه فتوجه الى قلايته ليرقد قليلًا كالمعتاد ولما كان بين الوعي والرقاد نظر شهب نار في القلاية وشيئًا يقول لهُ : انظر يا عبدالله . وحين فاق رجع الى الكنيسة وجثا امام الهيكل وهو يهتف نحو يسوع بقوله : عرفني آثامي يا الهي . وثاني يوم عرض ذلك على احد اخوته الرهبان المعتاد ان يعطيه سره غير اوقات وقال لهُ هكذا : « يا فلان تجربة شيطانيَّة صارت في الرهبنة وانا لم اقدر ان اتسلى لكن في هذه الليلة يأتيني خبرها » وهكذا صار لأن بعد يومين اتاه الخبر عن دير ما ان لولا عناية الله وصلاته لصار سقطة عظيمة في احد الرهبان والغريم بالذات اي صاحب التجربة جاء هو بذاته الى عنده واعطى المجد لله الذي ما سمح في كمال التجربة

ثانيًا مرة واحدة كان موجودًا ابونا المشار اليه في دير مار انطونيوس قزحيا فارسل طلبني لاني كنت غائبًا عنهُ في اشغال الرهبنة . ولما وصلت الى عنده امر ان ياخذوا تلك الليلة فرشتي الى قلايته وبعد صلاة الستار اخبروني ان رقادي يكون في قلاية ابينا فعجبت انا من ذلك وما خليتُ من آثار الوهم وصرت كأني مذهول ونبَّه عليَّ ان لا احد يجي لعنده وانتصب يصلي زمانًا وبعد ان خلص صلاتهُ طلبني لاكون قاعدًا جنبه وقال لي هكذا : « علي هم لا يُقدَّر ولم ارَ لي مسلّي يسليني » . واما انا بما اني عارف انهُ يتكلم بالغيب كما سبق لهُ مرارًا عدَّة وبما كان لي عليه دالة ونحن وحدنا قلت لهُ هذه الالفاظ : بديت تبشرنا بالعكس . فتبسم وكان جوابهُ لي : بدك مرزبة حتى تصير راهب . فرديت له الجواب : قول حتى نقشع . فقال : يا توما الرهبنة قادمة على تجربة عظيمة

بخسارة بليغة ولكن انا مستصعب واحدة ان في هذه التجربة موت رهبان قتلاً وانا فكرتي لئلا تكون انت واحداً منهم — فقلت له: اخبرني كيف يكون موت رهبان قتلاً بسلاح او بغيره. اجاب: يا ولدي هذا شيء مخبًا عني وكان مرادي ما تفارقني لاني اخاف عليك. وسبب خوفه علي لانهُ كان واقع مخاصمات ما بين الرهبنة واهل البطريرك يعقوب بعد رجوعه الى الكرسي البطريركي (١ وكانت اهل الجبال منقسمة اقرانًا جميعها من اكليروس وعوام وحكّام وبما اني كنت انا المباشر الاشغال نيابة عن الرهبنة فهذه علة خوفه. ومن بعد ان اخبرني هذا الخبر فكلما كنت افارقهُ فحين ارجع كان السعيد الراهب الذي يبشره ان القس توما اتى

وفي احدى السنين حدث غلاء عظيم في طرابلس وجبة بشراي وفي كل البلاد وبلغ ثمن كيل القمح الى سبعة غروش (٢ وليس كان لهُ وجود وكان عدد الرهبان في دير قزحيا ينوف عن الاربعين راهباً واجراء ومكارية ثمانية ورعيان المعزى والبقر اثني عشر وبطوش (٣ وذوي عاهات يعيشون من حسنة الدير ثلاثة عشر واحداً وكل واحد من هؤلا البطوش كان ياكل في وقته قصعة طعام وأنوف من عشرة ارغفة خبز. ومع هذا العدد جميعه فالضيوف والزوار الذين كانوا يتواردون كل يوم الى الدير واغلبهم من شدة الجوع لياكلوا وكان عددهم غير مقدر. ومفهوم عندكم ورود الضيوف والزوار لقزحيا غير ايام الغلاء فكم يكن في ايامه اوفر. ومع هذا جميعه لم يكن موجوداً في الدير قمح سوى مائة وخمسين كيلاً لا غير موضوعة في بئر في كنيسة مار اقرام خلف المذبح. وكان قزحيا يقطع كل يوم كيلين ونصف طحين على العدد المذكور من رهبان ورعيان واجراء وضيوف فيكون في الشهر خمسة وسبعين كيل طحين. وكان باقي لطلوع القمح الجديد في السواحل سبعة اشهر. فتشاور البعض من الرهبان فيما بينهم ان يكلموا عبدالله

---

١) اطلب المشرق (٩: ٣٦٣) وسلسلة بطاركة الطائفة المارونية (١٧٤ و١٨٩) وتاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية للخوري ميخائيل خبريل (٢: ٥٥٠) والجامع المفصل في تاريخ الموارنة الموصل للسيد يوسف دبس (ص ٤٣٠)

٢) كان الغرش يعادل الريال في ذلك الوقت اطلب كتابنا (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. I., p. 571.)

٣) البطوش لفظة عامية بمعنى الضيفن والمتطفل والثقيل مفردها بَطْش

ليصرف هؤلاء البطوش من الدير الذين كل واحد منهم ياكل في وقته هذا القدر بزعمهم ان القمح قليل وليس بمعلوم انهُ يكفي الرهبان والاجراء اللازمين علاوةً من الضيوف وفي البلاد مالهُ وجود والانسان في وقت الضيق يلتزم بالأضرّ والالزم لهُ . وحين عرضوا آراءهم عليهِ استصعبها جدًّا واجابهم قائلًا : اذا طردنا هؤلاء البطوش الساكين من الدير من اين يعيشون لان البشر ما احد منهم عمال يطعم احدًا ودير قنوبين الكرسي خراب ما احد يلفي عليهِ وهل ترون صوابًا انهم يموتون من الجوع والاله الذي يقيتنا على المذابح اما هو قادر ان يقيتهم ؟ اما يوجد في احدكم ايمان الاله الذي يتقدم كل يوم مرات عديدة حيث هو موجود القمح انهُ قادر ان يقيتنا ويقيتهم والشيّ الذي تقولونه انا لا اعمله بل القمح الذي عندنا ناكله نحن وهم . فاجابه الرهبان : مثل ما تريد يا ابانا ولم يكتفِ عبدالله بهذا فقط بل ارسل الى وكيل الرهبنة ليشتري لهُ لكل واحد من البطوش المذكورين كسوة كاملة اي لكل واحد عباء ومقطعًا وعرقية وشالة ومداس وكساهم كسوة جديدة واستمر يقدم لهم الاكل كما كانوا ياكلون اولًا من غير نقص . فيا لهُ من ايمان حيّ فاعل لانهُ صادق هو القائل : مهما تسألون بالصلوة آمنوا انكم تنالونهُ فيكون لكم الخ . لان القمح المذكور كفى لسدد الجمهور ولكافة الضيوف الواردة الى الدير الى ان طلع الشعير الجديد في الساحل فاشتروا واكلوا الى ان طلع القمح الجديد في السواحل ايضًا فابتدوا ان يشتروا ويأكلوا حتى طلع قمح الدير الجديد

ويومًا من ذات الأيام كنَّا قاعدين في دير مار انطونيوس قزحيا على السطح بعد العشاء كالمعتاد وكنا أنوف من خمسة واربعين راهبًا وكان يتكلم ابونا بامور روحية حسب عادته : ومن عادته في آخر التنزيه لا بد ما يرمي كلمة ما تضحك الرهبان وتبسطهم وكانت هذه دليلًا ليبدأوا يتكلمون مع بعضهم . فحين صار ما ذُكر التفت اليَّ والى اثنين من المدبرين وقال هكذا : « انظروا الى هذا الشر المنقّى في خدمة يسوع وهذا الجمهور المبارك الذي لا بد ما لمدوّ الخير ذاك الاركون يضرب البعض منهم » ومع قوله هذا اهطل الدموع

ويوم آخر كنت انا والمذكور في طرابلس فجاء واحد من المسيحيين اسمهُ ابو نصّار حاتم من كفرزينا لهُ ولد وهو ابنهُ البكر وعمره نحو ست سنين فتدامى ابو الصبي عليَّ

حتى اقدم ابنهُ الى ابينا ليصلي عليهِ لان الولد كان لهُ نحو ثلاث سنين في مرض عجز عن شفائهِ الاطباء. وكل من كان ينظره كان يحسبه من الموتى. فانا ما تجرأت ان اقدم الصبي الى ابينا بل ارشدت والدهُ اليهِ كأنهُ جاء الى عنده في شغلة وبهذه الواسطة ابونا يصلي عليهِ وهكذا صار. فدخل ابو الصبي الى عنده وبدأ يكلمه وبعد برهة قليلة اخذت انا الصبي وادخلتهُ عندهم وكان قولي: «الصبي يريد اباهُ» وبعد قليل شرت على ابي الصبي حتى يطلب الصلوة لابنه من الرئيس فصلى عليهِ وبعد صلاته بزمان قليل جداً برئ الصبي وانا اكلت التوبيخة بقوله لي: امش مستقيماً ولا تتربك عليَّ ولا على غيري (لها بقيَّة)

زلَّة الشبيبة

للاب لويس فؤاد البسوعي

على بضع ساعات من سان فرنسيسكو قرية صغيرة فيها ابنية معدودة يقطنها نفر يسير من اغنياء كاليفورنية وفي جملة سكان هذه القرية سيد يبلغ الستين من العمر يقال لهُ المركيز دي مُرتاغ كانت زوجتهُ قد توفيت من مدة وتركت لهُ ثروةً واسعة من الاموال والعقار ولمَّا لم يرزقهُ الله ورثاً ينتقل اليهِ مالهُ بعد وفاته جعل الفقراء موضوع عنايته واهتمامه. فكان اولو الفاقة يفدون الى قصره مستعصمين بجوده فيفيض عليهم سجال احسانه

وفي ذات يوم نزل عنده فتى غريب فدنا منهُ ورفع قبعتهُ مسلماً. وكان الفتى في عنفوان الشباب مشرق الجبين تنبئ عيناهُ السوداوتان عن نباهة وذكاء غير ان صاحب البيت استغرب صورتهُ فسألهُ ان يعرّفهُ بشخصهِ. قال: اسمي هنري لانور. ثم قدّم للمركيز رسالة بعنوانهِ فقضّها واذا هي من اعزّ اصدقائهِ السيد جاك اروست احد اعيان سان فرنسيسكو يُوصيه فيها بالشاب هنري وكان هنري وُلد من والدين رقيقي الحال لم يقسم الله لهما ان يتمتّعا بمشاهدة ابنهما طويلاً فتوفي كلاهما وتركاه لطيماً لا سند لهُ غير احد معارف عائلتهِ المسكينة السيد جاك المذكور الذي تكفّل بتثقيفهِ. فلمَّا اتمّ الولد دروسهُ ولم يتيسّر لهُ الحصول على مصلحة يرتزق منها فكّر قيّمهُ السيد جاك بصديقهِ المركيز دي مرتاغ ليمدَّ اليهِ يد المساعدة ويرشدهُ الى عمل يعيش منهُ فاتخذه